



تحرير التوحيد

من شوائب التقصير



﴿ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ، ذِكْرُكُمْ فِي
الذَّاكِرِينَ ، وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ
، وَأَزْوَاحُكُمْ فِي الْأَزْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النَّفُوسِ ، وَأَثَارُكُمْ فِي
الآثَارِ ، وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ ، فَمَا أَحَلَى أَسْمَاءَكُمْ ﴾

فاجعة الحقيقة بين مطلقات الولاء وقصور المقصرين

في عوالم ملئت بركام المادة ، وتلاطمت فيها أمواج الأنفس الدنيئة ، يقف المؤمن
الحق على أعتاب الحقيقة التائهة ، متأملاً غاية الخلة وسر الوجود ، إنها أزمة قلب
استبدت به أهواء العاجلة ، ففعل عن النبأ العظيم ، ولم يدرك أن الوجود كله رهن
إشارة من أشرق الأرض بنور أشباحهم قبل خلق الخلائق بألوف السنين.

لقد تليت علينا آيات التوحيد والولاء ، ونطق بها حادي القافلة التائهة ،
المرجع الديني الأعلى المولى الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي
أرواحنا فداه ، داعياً النفوس الغافلة لفك قيود أوهامها:

” هذه المسألة مسألة واقعية

لا يكون في القلب محبة غير محبتهم



فاجعة الحقيقة بين مطلقات الولاء وقصور المقصرين

فوا عجباً لقلب يزعم الانتماء لآل طه عليهم السلام ، وهو يشوب صفاء مودتهم بأصار التعلق بغيرهم! إن الميزان الإلهي لا يقبل التجزئة ، ولا يرتضي الشراكة في ملكوت الهوى ، فكل مظهر من مظاهر الدنيا إن لم يقع في ظل طاعتهم ، فهو وبال ، وكل مودة لم تخرج من مشكاة ولائهم ، فهي هباء منثور.

وهنا تنفجر الآلام الكبيرة في واقع الأمة ، حين نرى أصواتاً خافتة العقل ، مريضة البصيرة ، من فرقة مقصرة تجرأت على السلك القدسي ، فأخذت تحقر من المقامات الغيبية الكبرى لأهل بيت العصمة ، ظناً منها أن التقديس حدُّ بشري يمكن قياسه بعقولهم القاصرة ، إن هؤلاء المقصرين قد باعوا حظهم بالأبخس ، ووقفوا عند حدود الظاهر المادي ، فعميت أبصارهم عن رؤية الأنوار الصاعدة والمقامات الجليلة التي حباهم الله بها ، وما علموا أن التشكيك في فضائلهم هو شين يورث البعد الأبدي.

وفي خضم هذا التيه العقائدي ، تبرز الأبوة الحقيقية التي لا تنقطع عراها ، ولا تبلى عهودها ، إنها الأبوة الولائية الصادقة المتمثلة في المرجعية الولائية الإحقاقية المباركة ، التي صانت العقيدة ، وحفظت عهد المعلم الأوحد للولاء الإحقاقي أعلى الله مقامه الشريف تلك المرجعية التي ثبتت على جمر العقيدة الصافية ، رافضة كل تماهٍ أو مداهنة مع "المرجعيات البترية" التي تحاول بتر المقامات الولائية ، وفصل الرعية المُقلدون عن الأصول الغيبية لأئمتهم عليهم السلام ، فإن الأبوة الحقيقية هي التي تقود الروح إلى التوحيد الخالص من خلال الولاء المطلق ، وليست تلك التي تذر النفوس تائهة في فيافي الآراء والمقاييس البشرية.



وكما صدح لسان الحق الإحقاقي
أعلى الله مقامه وفاءً وإخلاصاً:

” أنا من اليوم الذي عمري
كان إثنا عشر ، وثلاثة عشر سنة
في جهاد في سبيلهم ،
ولم يتعطل ، ولم يتوقف جهادي
فالموت أولى
الموت أولى من حياةٍ بلا محبتهم ،
بلا جهادٍ في سبيلهم ،
بلا تقربٍ إلى مقاماتهم “

فأي أسى يمتص مهجة المؤمن حين يرى الأيام تمضي بلا
جهاد في سبيل إعلاء شأنهم؟ إن الحياة التي لا تُبذل قرابين
على أعتاب علمهم ومقاماتهم بالموت السريع ، وإن الموت في
سبيل تثبيت أنوارهم عليهم السلام في القلوب القاصرة هو
الحياة الإبدية التي طمح إليها الأنبياء والأوصياء والعلماء
النورانيين منذ أبينا آدم وإلى ظهور القائم المؤمل والعدل
المنتظر الإمام الحجة ابن الحسن عجل الله فرجه الشريف .



الشواهد الروائية والآيات القرآنية

لقد تضافرت الآيات والروايات الواردة في كتب الشيعة المعتبرة لتعضد هذا البنيان العقائدي الشامخ:



كشاهد الشراكة في القلب والحدود الشرعية:

دل قوله تعالى: { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ } على عدم إمكانية الجمع بين حب الله جل جلاله وأوليائه عليهم السلام وحب أعدائهم أو الإستقلال بحب الدنيا كما جاء في الكافي لشيخنا الكليني رضوان الله عليه ، عن محقق الحقائق إمامنا المولى جعفر الصادق عليه السلام قوله { القلب حرم الله ، فلا تسكن حرم الله غير الله } فحب الأولاد والأزواج والأموال والأصدقاء والأساتذة والزملاء إنما يجوز ويستقيم إن كان عبراً وطريقاً لولايتهم ، وإلا كان شركاً في ميزان المودة الظاهرية والباطنية.

شاهد رد المقصرين والولاية والنسب العقائدي:

يرتبط تحذير المقطع من الانجرار خلف من قلّ ولاؤه وإن كان قريباً ، بقوله سبحانه في قصة نوح: { قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ } وقد روي في تفاسير الأئمة أن النفي هنا لم يكن نفي نسب ولادة ، بل هو نفي لنسب الطاعة والولاء ، فمن خالف أمر آل محمد عليهم السلام وقصر في حقهم ، انقطعت عرى الأبوة الإيمانية بينه وبينهم.

شاهد عظمة الجهاد والموت دون مقاماتهم:

جاء في بحار الأنوار للعلامة المجلسي ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : { والله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني } فالحياة جهاد مستمر لتثبيت هذه الجذبة النورانية ، والموت دونكم يا آل محمد هو أسمى مراتب الوجود، كما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة : { وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ }

أول حادي



خاتمة الإيمان

التوحيد الخالص في محراب المودة



إن الخاتمة التي تلتقي عندها آمال العارفين ،
وتتلاشى دونها أوهام الجاهلين ، هي أن يخلص
القلب من شائبة الشرك الخفي في حب أهل البيت
عليهم السلام فلا مودة تسبق مودتهم ، ولا طاعة
تتقدم طاعتهم ، ولا تحقير لشيء من مقاماتهم
النورانية التي نصت عليها خطبهم وزياراتهم
المعصومة.

إن النفوس الطاهرة التي تفتت على معين المدرسة الإحقاقية الولائية ، تعلم
يقيناً أن البراءة من المنهج البتري والمقصر هو عين الوفاء لشرط كلمة
التوحيد ، وأن المحبة الحقيقية هي التي تستوعب الكيان كله ، فلا تترك في
شغاف القلب موضعاً لغير أنوارهم الزاكية

فسلام على المعلم الأوحى ، وسلام على القلوب الثابتة على
جمر الولاء ، والحمد لله رب العالمين

{ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً
* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي }

